غير ملتزمين تقديم الافضل فالافضل من علما كل مذهب لجهلنا بحقيقة
مقامهم الذين يموتون عليه فان التحويل والتبديل ربما وقع لاحدهم فينفع
وصفنا له على خلاف الواقع فيكذبنا الحس ولذلك قل من يذكر مناقب
احد من الاحيا في حياتهم وانما يذكرونها بعد مماتهم ولكني لما قوي رجاي في
الله عز وجل وانه لا يسلب احدا ممن ذكرتهم ما وهبه له من العلم والمعرفة
والاخلاق الحسنة اجراني ذلك على ذكر مناقب من صحبتهم من الاحيا
ولم اذكر منهم الا من افتى ودرس في مذهبه باذن اشياخه لان ذلك
غاية ما يصل طالب العلم الى الآن وكذلك لم اذكر منهم الا من علمت بقراين
الاحوال انه لا يحب الشهرة ويستحقر نفسه ان يذكره احد في طبقات
العلما العاملين لعلمي بان من احب الشهرة فهو مراي وعيوبه مكشوفة
للناس فلا يصدقني فيما اصفه به وقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول
لو احب العلما ان يعرفوا ما عرفوا انتهى وقد كنت ذكرت بعض جماعة
في هذه الطبقات فقال لهم بعض الحسدة ان فلانا ذكر اقرانكم فلم يذكركم
فجاوني وعتبوا علي لكوني لم اذكرهم بنا على صدق ذلك الحاسد فرفعتهم
من الكتاب لعلمي بان من احب الشهرة لابد له ان ينطفي ولو على طول
فلا يفيده ذكري له وقد اجمع القوم على ان من علامة العالم العامل ان
يري نفسه احقر عباد الله على الاطلاق كما كان عليه سيدي عبد العزيز الديريني
والشيخ عبد الله المنوفي فكان احدهما اذا جا الى وليمة ولم يقم اليه احد
ولم يفسح له يزداد سرورا واذا اقدموا له ولاصحابه الصحون التي اكلها
الناس ملحوسة يلحسونها ويزدادون سرورا ويقولون اكلنا فضلة هولا
الناس الملاح وحصل لنا بركتهم وارجوا من فضل الله ان يكون جميع من
ذكرتهم على هذا القدم وجل قصدي بذكر من صحبتهم من هولا العلما فتح
باب الاعتقاد فيهم من اهل عصرهم لياخذوا عنهم العلم والادب وينتفعوا

بهم

بهم فانهم قالوا المعاصرة حجاب فترى بعض الناس لا يقيم لاحد من اهل عصره
وزنا ولا يعتمد على فتواه ثم اذا مات المفتي فتخلف المعاصر بعده يصيح عند
من العلما ويسمي ما يراه في مؤلفه مستولا ويحتج به له وعن قريب تخلو
الديار المصرية من هولا العلما وتفقد الناس انوار علومهم فالعاقل
من تادب مع علما زمانه واقرانه واخذ عنهم ما معهم من العلم والسلام
اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق ممن صحبته من السادة الحنفية
الشيخ الامام العالم العلامة المقبل على عبادة ربه ليلا ونهارا المعتزل
في بيته عن الناس عملا بالسنة المحمدية الشيخ شمس الدين البرهمتوشي
فسح الله في اجله للمسلمين لي في صحبته الى الآن مدة عشر سنين فما اظن
ان كاتب الشمال كتب عليه شيا وان وقع عرض بذكر احد على وجه التنفير
فذلك من باب النصح للامة لا لحظ نفسه وقد كان الامام البخاري
رحمه الله يخرج الرواة كثيرا ومع ذلك يقول ارجو من الله تعالى
ان لا يطالبني بغيبة احد انتهى وبالجملة فالشيخ شمس الدين هذا فريد
عصره ونادرة زمانه في العلم والعمل والاخلاص وعدم الوقوع فيما
يذل نفسه لاحد من ابنا الدنيا حتى ان بعض الولاة ولاه في وظيفة
تدريس لها معلوم جليل عند الناس فتوقف على انه يذهب لذلك الامير ويشكر
فضله فلم يفعل وتركها ومما وقع لي انه كشف لي ليلة فرايت اعمال علما
جامع الازهر وهي صاعدة الى السما فما رايت في اعمالهم اضوأ ولا انور من
عمله فعلمت بذلك علو مقامه في الاخلاص وكيف لا يكون عمل من اعتزل
عن الناس اضوأ وانور وذات المعتزل عن الناس تنظف من ساير الادناس
والانجاس تبعا للقلب فانه اذا استنار اضات الذات واضات الاعمال
وقد مررت مرة على قناطر السباع التي عملت من الحجارة فنظرت الى سبع
منها قريبا من الناس عليه النخامات والبصاق حتى اسود وقبحت رايحته

Copyright © King Saud University